كلمة

طاهـــــر المصـــري

في حفل تأبين

ابراهيم ابو عيـــــــاش

يوم السبت

2013/8/17

المركز الثقافي الملكي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيداتُ والسادةُ الأكارمْ ،

السلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتهْ

بدايةً لا بُدَ وأنْ أُشيرَ بالإعجابِ والتقديرِ إلى مثلِ هذهِ المبادراتِ الطيبةْ ، حيثُ يلتقي أبناءُ الشعبِ الواحدْ ، والوطنِ الواحدْ ، لاستذكارِ مناقبِ منْ فقدواْ ، والحديثَ عن إنجازاتِ رجالاتها في مشهدٍ يعبرُ عن عمقِ التواصلِ والتكاملْ ، وعن الوفاءِ الذي يكنُهُ الأردنيْ لأخيهِ الأردنيْ . وما هذا اللقاءُ الطيبْ ، وهذا الحضورِ الكريمْ ، إلا التجسيدِ الحي الصادقْ ، لهذهِ القيمةِ الإنسانيةِ الأصيلةْ ، والتيْ أدعوُ لأن نصونَها في كلِ الأوقاتِ والظروفْ ، وفي سائرِ شؤونِ حياتناْ .

وها نحنُ اليومْ ، نقفُ أمامَ سيرةٍ ومسيرةِ قامةٍ أردنيةٍ عروبيةٍ مقدرةْ ، انتقلتْ إلى الرفيقِ الأعلىْ ، بعد حياةٍ حافلةٍ بالنضالِ والعملِ والإنجازِ والعطاءِ والتجردْ . فقد كانَ المهندس ابراهيم ابو عياش رحمُه الله ، مناضـــلاً صلباً ، وطنياً عروبياً صادقاً ملتزماً . أعطىَ في شتىَ الميادينِ التي انخرطَ فيها . وكانت رحلتهُ النضاليةُ من اجلِ فلسطينَ وعدالةِ قضيتهَا والدفاعِ عن حقوقِ شعبهْ ، علامةً مميزةً في حياته ، وفي مسيرتهِ المباركةْ .

لقد جسدَ فقيدنَا وحبيبنَا المهندس ابراهيم عبد الحميد ابو عياش ، تجربةَ جيلٍ أردنيٍ وفلسطينيٍ بأكمله . فقد ولَد في بيت أمّر ، بعد عشرةِ أيامٍ من فكِ اضرابِ الستةِ أشهرٍ في فلسطين في 1936/10/22 . وتلقىَ تعليمهُ هناك قبلَ أن ينتقلَ إلى ثانويةِ الحسينْ بنْ عليْ في الخليلْ . وكانَ يقطعُ كلَ يومٍ مسافةَ 10 كم ذهاباً وإياباً سيراً على الأقدامِ ليصلَ إلى المدرسةْ . تفوقَ في دراستهْ ، وحصلَ على المرتبةِ الأولىَ على طلابِ المملكةِ في الضفتين في شهادةِ المتركْ - التوجيهي فيما بعد –. (كانَ عوني المصري من نفسِ دفعتهِ وحلَ خامساً على المملكةْ ، والسيدة انتصار عباس جرادنة ايضاً وكان ترتيبهَا الخامسة على الإناث) . حصلَ الفقيدُ على بعثةٍ لدراسةِ الهندسةِ في الجامعةِ الأمريكيةِ في بيروتْ ، عندمَا كانَ د. خليل السالم مديراً للبعثاتِ في وزارةِ المعارفْ ، حيثُ إعتذرَ عن تلبيةِ رغبةْ د. خليل الذي أرادَ أن يُرسلهُ لدراسةِ الفيزياءْ . وواصلَ دراسةِ الهندسةْ ، وتخرجَ من الجامعة عام 1959 بتفوقٍ.

السيداتُ والسادةْ الافاضلْ،

كانتَ سنواتْ الخمسيناتْ مكتظةٍ بالأحداثِ الوطنيةْ ، ابتداءً من بدايةِ الشتاتِ الفلسطينيِ عام 1948 ، والوحدةِ الاردنيةِ الفلسطينيةْ ، مروراً بالثورةِ المصرية ، وتفاعلاتِ حلفِ بغدادْ ، وتداعياتِ ذلكَ على الاوضاعِ في الاردنْ ، وتأميمِ قناةِ

السويسْ ، والعدوانْ الثلاثيْ على مصر ، والوحدةِ بين مصر وسوريا ، والاتحادِ الهاشميْ وإنفكاكهْ . هذهِ الأحداثُ المصيريةِ اجّجت في فقيدَنا الروحُ الوطنيةُ والنضاليةُ ، ونمّت فيهِ كُل الخصالِ الإنسانيةِ الكريمةْ . وكانَ من الطبيعي جداً وفي السياقِ التام لنهجهِ وقناعاتهْ ، أن يُترجمَ حماسهُ وإيمانهُ بالفعلِ والعملْ . فذهبَ مع بعضِ زملائهِ وأصدقائهِ (وأرى بعضاً منهم بين الحضور عوني الساكت وعلي سحيمات) إلى معسكرٍ قرب حمص للتدريبِ العسكري استعداداً للانضمام إلى المقاومةِ في السويسْ .

وعندما انتقلَ إلى الولاياتِ المتحدةِ ليكُملَ دراستهُ العليا في إحدى جامعاتِ ولايةِ جورجيا ، كانتْ حركةُ تحريرِ السودِ في الولاياتِ الجنوبيةِ في أوجها ، وتعرفَ على قائدِ هذهِ الحركةِ مارتن لوثر كنج وتعاملَ معهْ . وعاشَ هُناكَ في نفسِ الأجواءِ الثوريةِ التي عاشها أثناءَ دراستهِ في بيروت ، وأزدادَ إيماناً بعدالةِ قضيتهِ وبضرورةِ عدمِ الاستسلامِ للأمرِ الواقعْ .

أمّا المرحلةِ الثالثةِ من حياتهِ فقد بدأت عام 1963 عندما انهىَ دراساتهِ العليا ، وعادَ الى الاردنْ ، وبدأ في ممارسةِ الحياةِ العمليةِ والنضاليةِ في الأردنِ. وجاءت عودتهِ متزامنةً مع بداية مرحلةٍ جديدةٍ للقضيةِ الفلسطينيةْ، حيثُ بدأت حركةُ فتح في التكوينِ والتأسيسْ ، بهدفِ إبرازِ الهويةِ النضاليةِ الفلسطينيةْ. وفي

نفس الوقت، بدأ بتكوين مستقبله المهني بتأسيس مكتب هندسي مع المهندس محمد فياض ، وخاضَ انتخابات نقابة المهندسينَ على قائمة المهندس جعفر الشامي عام 1968 وحُظيَ بمنصب نائب النقيب . وتمَ انتخابُه نقيباً للمهندسينَ الأردنيينَ لدورتين متتاليتين. كما أُنتخبَ نقيباً للمهندسينَ العرب. وفي عهده عمل على تحويل نقابة أصحاب المهن الهندسية إلى نقابة منشأة بموجب قانون خاص بها . وعملَ جاهداً ضدَ أقلمة نقابة المهندسين الأردنيين ، بتحويلها إلى نقابة مهندسيَن مشتركة أردنية فلسطينية، وأصّرَ على الفصل بينهما. وفي عام 1971 أصبحَ عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني كمستقل والمجلس المركزي لمنظمة التحرير وبقيَ عضواً في المجلسين لغاية وفاته.

أردتُ أن أستعرضَ معكم هذا التسلسُلَ التاريخيَ للمراحل المفصلية من حياة ابو العبد ، ابراهيم أبو عياش ، لنرى كيف تلازمتْ الحقب الثلاث من حياته في صقل شخصيته الوطنية ، وإظهار طموحه الوطني ، ونضوجه وتجرده وعقلانيته . ولا نملكُ في مثل هذه اللقاءات الوجدانية المعبرة ، إلا أن نؤكدَ بمنهجية وجدانية صادقة ، عن تجذر بذرة العلاقة الإنسانية بين سائر مكونات شعبنا الأردني الواحد ، من شماله إلى جنوبه ، ومن شرقه إلى غربه . وعن تجذر مشاعرنا الإنسانية الموحدة الصادقة نحو الأخوة الرازحينَ تحت سطوة وظلم

الاحتلالْ ، ونحو القدسِ الشريف وسائرِ الأراضي الفلسطينيةِ المحتلة . والتزامنَا الثابتِ والنهائي تجاهَ هذه القضايا .

ولستُ أُخالُ أن أحداً في هذه الدنياْ يمكنُ أن يضاهي التزامناً أو مشاعرنَا نحنُ الاردنيينَ على هذا الصعيدْ ، فكُلنَا فلسطينيونْ في مواجهةِ المشروعِ الصهيونيْ ، وفي إبرازِ الهويةِ الفلسطينيةِ والكيانِ والدولةِ الفلسطينيةْ المستقلةِ على أرضِ فلسطينْ وعاصمتُها القدسْ ، وكُلنَا أردنيونَ في حمايةِ الأردنِ والحفاظِ على كيانهِ وبلورةِ هويتهِ الأردنيةْ ، ورفضِ أي حلولِ بديلةْ ، والتي ستكونُ بالتأكيدِ ضارةً لكلٍ من الأردنِ وفلسطينْ . وقد مّثلَ فقيُدنَا هذهِ الحالهْ ، فنشأته في فلسطينْ ، وجعلها قضيتهُ الاولى ، لم تتعارضَ مع عملهِ الدوؤبِ كمواطنٍ اردنيٍ ناجحٍ ووطنيْ ، وأنِ خلفيتهُ الفلسطينيةْ ، وحياتهُ وهويتهُ الاردنيةْ ، تتلازمانِ ، وهذهِ نقطةَ قوةٍ للمجتمعِ الاردنيْ .

لقد ولَد هذا الشعورِ من رحمِ المعاناةِ والعذابْ والتضحياتُ التي جعلت من الأردنِ وشعبهِ الواحدِ في مقدمةِ صفوفِ المضحينَ من أجلِ القضيةْ ، والداعمينَ لصمودِ شعبهاْ ، والمدافعينَ عن عدالتهاْ . وجلالةُ الملكِ عبد الله الثاني ، في طليعةِ من يحملونَ همَّ القضية ، والدفاعِ عن حقوقِ الشعبِ الفلسطينيِ ، ولا أبالغْ أو

أجـاملُ إن قلتُ أنه ربماَ هو الزعيمُ العربي الأكثرُ إهتماماً بهذا الشأن وربما الوحيدْ .

إنها مسيرةٌ مشرفةٌ مشتركةْ، نستحضرُ فصولهَا في كل المناسبات ، تماماً كما في هذه المناسبة التي نتحدثُ فيها عن مناقب الفقيد المناضلْ ، وهي مسيرة تجسدُ في اللحظة ذاتها ، عظيمُ حبُنا لوطننا العزيزْ الأردنْ ، وحتمية تلاُحم صفنا الواحد ، وعلى طريق البناء والإنجاز والإصلاح وصولاً إلى أسمى مَراتب التقدم ، في بناء الوطن الأنموذج المميزْ ، مستندينَ إلى عظمةِ عروبتناْ ، وعظمةِ عقيدتناَ السمحاءْ ، وعظمةِ إرادتِنا كأردنيينَ مخلصينَ للوطنِ وللقضيةِ الفلسطينيةْ ، واثقينَ من قدُرتناَ بعونِ الله على تجنيب الوطن كل الشرور والمخاطر والتحدياتْ.

رحمَ الله فقيدناَ العزيزْ ، والعزاء الخالص لأُسرتهِ الكريمةْ ، والثناءِ على سيرتهِ الطيبةِ ونضالهِ المميزْ ، منا جميعاً ، وبارك الله فيكم حضرات الاعزاءْ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طاهر المصري